التوازنات المسلحة

ملاحظات حول الحرب الاهلية في لبنان

خالد جابر

ربما كانت الحرب الاهلية في لبنان * ، اكثر اشكال الصراع السياسي العربي دلالة في المرحلة الراهنة . فهي بؤرة صراعات عديدة ، لا تنحصر بكونها صراعا بين طرفين محددين : يساري — يميني ، مسلم — مسيحي ، فلسطيني — لبناني الخ . ، بل هي تلخيص مكثف لتاريخ لبنان الحديث والمعاصر ، بوصفه جزءا من تاريخ الصراعات في المنطقة العربية ، بكل ما تحمله هذه الصراعات من تنوع وتعددية ، لا تعني لبنان وحده بل تعنيه بوصفه كيانا ، اي بوصفه نقطة توازن عربية وعربية امبريالية .

ان المسألة اللبنانية ، لا تطرح كمسألة مستقلة . ولم يسبق لها ان طرحت هكذا . منذ امارة فخر الدين وحتى اليوم ، كانت هذه المسألة في صلب ما كان المؤرخون البرجوازيون يطلقون عليه اسم المسألة الشرقية . وما نطلق عليه نحن اليوم اسم الصراع بين الشرق العربي والامبريالية الغربية .

لم يكن تكون الكيان اللبناني في التاريخ المعاصر عام ١٩٢٠ ، حين اعلن الجنرال غورو ولادة دولة لبنان الكبير ، وليد تطور موضوعي مستقل . او وليد نضج مجموعة من الظروف الموضوعية الداخلية التي تقود الى تبلور وعي قومي يفرض انفصالا عن بلاد الشام . بل كان لحظة في التجزئة المفروضة بقوة العنف الامبريالي الخارج من الحرب العالمية الاولى والمتلهف الى مزيد من السيطرة على العالم بأسره . فأتى الكيان اللبناني ، كجزء من سيطرة تستقيم بتجزئة بلاد الشام الى دول ودويلات واعطاء الصهاينة فلسطين . ان هذه التجزئة هي الصيغة السياسية لعملية طويلة ومعقدة ، بدأت مع بعثات التبشير ، ثم بعثات التجارة ، وضربت الاقتصاد الطبيعي ، ودمرت الحرف وسحقت الانتاج . ثم اتت على اشلاء التنظيم الاجتماعي القديم ومع بروز نظام الطوائف الحديث ، كتكريس للميل الى تدمير الانتاج ، وسحق المركز العربي من اطرافه . هكذا سلخت الاقضية الاربعة ، وغرض الكيان كي يكون كيانا ، ولم يتكرس عربيا الا بعد الحرب العالمية الثانية ليلعب دور نقطة توازن مع الامبريالية . هذا التوازن هو التعبير عن عجز البرجوازية العربية وجبنها وعدم قدرتها على انجاز مهمات المرحلة الوطنية الديمقراطية .

---

* هذا المقال هو استكمال لدراستنا السلطة والتوازن في لبنان المنشورة في شؤون فلسطينية ٥٠-٥١.